أ.د. احمد راسم النفيس
مفكر اسلامي من مصر

تقرير من طهران

عقد أخيرا في طهران وفي الفترة من ٢٠ إلى ٢٢ أغسطس المؤتمر الدولي للوحدة الإسلامية الذي نظمه المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية الذي يرأسه سماحة آية الله الشيخ محمد علي التسخيري، حيث توافد على الحضور كم لا يستهان به من العلماء والمفكرين المسلمين من شتى بقاع الأرض من المنتمين إلى كافة المذاهب الإسلامية، ومن بينهم ممثلو رابطة العالم الإسلامي، فضلا عن عدد من علماء الأزهر المعنيين بقضايا التقريب بين المذاهب ومن بينهم الدكتور جعفر عبد السلام والدكتور أحمد السايح.

كما شارك كاتب هذه السطور في فعاليات المؤتمر من خلال بحث بعنوان (صناعة الأقليات).

ربما تصور البعض أن المؤتمرين جاءوا ليبحثوا قضايا الخلاف الحقيقي أو الوهمي بين السنة والشيعة، بينما يقول الواقع أن الاجتماع الرئيسي وما دار على هامشه من اجتماعات فرعية كانت تتطرق إلى مناقشة الهموم الرئيسية التي

يكابدها المسلمون؛ ومن أهمها بكل تأكيد مجزرة العراق الدامية التي ما زالت تتوالى فصولها في محاولة لإيجاد حلول ومخارج لها.

بدأ هذا الاهتمام واضحا أثناء اللقاء بين أعضاء الوفود وقائد الثورة الإسلامية آية الله السيد علي الخامنئي حيث قال سماحته: (أننا لا نخاف من أمريكا ولا من أسطولها الذي جاءت به ولا حتى من إعلامها المعادي بل من مرض الصراع الداخلي الذي ينهش كبد الأمة الإسلامية، وأن هذا المرض هو التهديد الأخطر الذي يواجه المسلمين).

كما دعا الكتاب والمفكرين إلى تعميق الوحدة الإسلامية من خلال منع تكفير الموحدين وأكد على: (أننا لا نسعى لتوحيد العقائد الكلامية والفقهية بل نسعى إلى منع التنازع مستشهدا بقوله تعالى: "ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم" كما أننا نسعى إلى منع نقل الاختلافات إلى ساحة العمل الواقعي).

كما أكد قائد الثورة الإسلامية أن (إيران ستواصل مسيرتها من أجل الحصول على شتى أنواع التكنولوجيا بما فيها التقنية النووية لأن الغرب يخشى من تقدمنا العلمي، وأننا سنواصل السير في هذا الطريق بكل قوة وعزيمة).

الصراع الداخلي إذا هو الهاجس الذي يؤرق كل من يهتم بشأن المسلمين ورغم تباين الآراء عمن يتحمل المسؤولية عن إشعال الفتنة، وهل هي مسؤولية إسرائيلية أمريكية صرفة كما يصر البعض، أو أن هؤلاء وغيرهم يستثمرون مناخا مسموما جرى صناعته وترويجه محليا، وأن الطريق الوحيد لقطع دابر الفتنة يبدأ من الداخل، وأن هذا وحده هو السبيل لقطع الطريق على من يحاولون الصيد في ماء الأمة الذي عكرناه بأيدينا، بل وما زال البعض يصر على تعكيره كلما بدا أن الأمور آخذة في التحسن.

وعلى الفور سارعت وسائل الإعلام لنقل الفقرة الأخيرة متجاهلة بقية الفقرات وهو ما يلفت الانتباه إلى الطريقة التي يتعامل بها الإعلام الغربي مع رافضي الهيمنة الأمريكية؛ باعتبارهم مجرد أصحاب مشروع حربي إرهابي مناهض للحضارة الإنسانية بدلا من اعتبارهم أصحاب حق مشروع في اللحاق بركب الحضارة، وأن من حقهم الحفاظ على مصالح أمتهم والتأكيد على أنهم جزء أصيل من المجتمع الدولي يتمتع بنفس الحقوق التي يحظى بها الإنسان الغربي.

محور التطرف ومحور الاعتدال!!

لا أدري كيف أمكن لخبراء البيتزا والاستيك البقري أن يضعوا إيران التي استضافت هذا المؤتمر التوحيدي التقريبي، الذي يعد نموذجا للحكمة والاعتدال، على رأس ما يسمونه بمحور التطرف في حين يضعون أنفسهم على رأس محور وهمي لا وجود له إلا في خيالهم الفسيح يسمونه بمحور الاعتدال، ولا بأس بعد ذلك أن يصرخوا ويصرحوا عن التمدد الإيراني والتدخل الإيراني وغيرها من المصطلحات فاقدة الدلالة والمعنى.

في تقديرنا أن العالم الإسلامي لم يعد يملك ترف اللعب على تلك المحاور والانقسامات، وألا بديل لهذا العالم سوى تشكيل محور واحد يحافظ على وجوده ويمنع المزيد من التراجع والتشتت والانقسام، وآن لهؤلاء أن يراجعوا تجاربهم الفاشلة التي دامت عقودا من الزمان لم يحصدوا منها سوى الخيبة والخذلان والمزيد من تآكل موقفهم الحضاري والسياسي. ولا داعي لأن نصرح بالمزيد مما رأيناه بأم أعيننا على هامش هذا المؤتمر!!.

أهل السنة في إيران:

اللافت للانتباه هو هذا الحضور المكثف لأهل السنة من داخل إيران ومن خارجها، فقد شارك علماء السنة الإيرانيون في جلسات المؤتمر، حيث جاءوا إلى طهران من مناطق تواجدهم المختلفة شرقا وغربا وشمالا وجنوبا، وهو ما يشير إلى أن هؤلاء لم يجر إلغاؤهم أو اختزالهم في المؤسسة الدينية (الرسمية) الإيرانية، وأنهم على العكس مما يقال يتمتعون بحقهم في التعبير عن أفكارهم وآرائهم.

المأساة العراقية:

على هامش المؤتمر أيضا جرت جهود مكثفة لرأب الصدع العراقي، وقد ذُكر أن بعض القيادات السنية العراقية المتشددة رفضت حضور المؤتمر بينما حضر آخرون من بينهم الشيخ عبد الغفور السامرائي رئيس الوقف السني العراقي وبعض العلماء الآخرين.

وبسبب رفض هؤلاء للحضور عرض مفتي عُمان استضافة الفرقاء العراقيين في مسقط في إطار مؤتمر للمصارحة والمصالحة، وربما تفلح هذه الجهود في تحقيق هذا الهدف المنشود.

من ناحية أخرى فقد تحرك (الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين) مقترحا عقد لقاء بين جميع المراجع الدينية لوقف كل أشكال التقاتل بين المسلمين، والتقى بمرشد الجمهورية الإسلامية الذي (أثنى على هذه الدعوة لبيان الحكم الشرعي في مثل هذه الممارسات التكفيرية الدموية داعيا لوضع حد لهذه

الجرائم الخبيثة، ووعد بأن تلقي الجمهورية الإسلامية بكل ثقلها لوضع هذا الاقتراح موضع التنفيذ).

إلا أن الصعوبات والعراقيل التي وضعها التكفيريون في وجه هذا الاقتراح بدت واضحة في سحب أحد أهم الموقعين على البيان توقيعه طالبا إبقاءه سرا وهو الشيخ أحمد عبد الغفور السامرائي وعندما استفسرت ممن قام بتوزيع هذا البيان عن السبب وراء ذلك جاء الرد بأنه الخوف من (الزرقاويين).

في هذا الإطار حاولت أن أتبين حقيقة ما يجري في العراق من مصادر سنية وقد أكد لي الشيخ خالد الملا (أحد أبرز علماء أهل السنة في مدينة البصرة) أن الزرقاويين هم المسؤولون عن جرائم القتل والإبادة الجماعية، وتحدث بمرارة عن الدور السلبي لهؤلاء الشيوخ المشار إليهم؛ حيث قال بالحرف الواحد: (لو أن هؤلاء أدانوا صراحة ما يفعله الزرقاويون لانخفض عدد القتلى في العراق إلى النصف على الفور).

سألت الشيخ البصراوي خالد الملا تحديدا عن واقعة (مسجد العرب) الواقع بالبصرة حيث ادعى البعض أن الشرطة العراقية اقتحمت المسجد وقامت بقتل المصلين السنة فأكد نقلا عن شهود الواقعة صحة ما ذكرناه (عندما قمنا بالرد على أحد مندوبي الدعاية الزرقاوية المصريين) من انطلاق إحدى السيارات المفخخة من هذا المسجد الذي بادر حراسه لإطلاق الرصاص على الشرطة العراقية التي جاءت لتحقق في الواقعة، وأن الشرطة اكتشفت بالفعل سيارة أخرى مفخخة ومعدة للانطلاق بعد اقتحام المسجد، وأن من قتل في هذه المعركة كانوا حراسا مدججين بالسلاح، ولم يكونوا من المصلين الأبرياء كما زعم هؤلاء.

كما ذكر الشيخ الملا؛ أن الدعم الإقليمي المالي والسياسي والإعلامي الضخم الذي تحظى به القوى الزرقاوية هو الذي يمنع من تصفية تلك البؤر التي تنطلق منها تلك الأعمال الإرهابية وأن الحرص على عدم استثارة ردة فعل إقليمية هو السبب الذي يمنع قوى الأمن العراقية من اقتحام تلك المناطق وتطهيرها كما حدث في الفلوجة من قبل.

الأزمة التي يعانيها العالم الإسلامي إذا ليست أزمة فقهية ولا عقائدية كما يروج البعض، وإلا كيف لنا أن نفسر ذلك التخاذل الذي يبديه هؤلاء في مواجهة تلك الظواهر الإجرامية حرصا على مصالحهم ومواقعهم الاجتماعية الآنية؛ وهي أزمة لا يمكن الخروج منها إلا بمواقف حازمة تقطع السبيل على القتلة والمجرمين، وتسمي الأشياء بأسمائها الحقيقية بعيدا عن تلك المجاملات الزائفة التي لا تقدم ولا تؤخر.